همهمة حروف

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : ٠١٠٠٠٣٢٨٨٥٩٦.

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com @yahoo.com

همهة حروف

تأليف: باسنت مدحت

الطبعة الأولى، القاهرة 2019م

غلاف : عمار جمال العبد

تدقيق لغوي وتصميم : الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-?

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

همهة حروف

«مرسائل»

باسنت مدحت

إهداء

إلى أمي ..

والتي لطالما حاربت معي منذ طفولتي لأصبح مثل الأخرين بسبب إصابتي بضعف السمع، وكان يظن الجميع بإنني استثناء أو قد أصبح من قائمة ذوي الاحتياجات الخاصة ..

والآن أنا على مقربة من عالم الأدب الذي (أحبه) ..

***

وإلى زوجي ..

فمازلت تتحمل الجنون الذي أصابني لألتحق بالعالم، فبينما كنت معك،

كان قلبي وعقلي في رحلة البحث عن الكلمات والتشبيهات والخيالات ..

***

مقدمة

لا يكف الجميع على مناداتي بإسم (بسنت)، و أنبههم بكل أدلتي إن إسمي الحقيقي (باسنت)

يتساءل هؤلاء ما الفرق بينهم بسخرية !!

و كالعادة كثرت الأقاويل و التأويلات اللاتي لا طائل منها ..

فهل لهذه الكلمة معنى إن طُرد حرف النون منها !!

فما لأحرف هذا الكتاب إلا مشاعر تُعزف على البيانو بعد سنوات من التأقلم على إيقاع الأفراح و الأتراح

***

وكمثل طفل صغير يحاول الزحف، كذلك حبري و

هو يكتب جملة صغيرة

(تكاد تشبه البرقية)

صديقي الصغير

أسبوعان مرا علىَ .. كانوا أجمل أربعة عشر يوماً في تلك الحياة التي لا تربت على قلب أحد ..

أنجبت طفلاً جميلاً .. و أسميته آسر كما أراده والده ..

مكث في حضني ثم ابتعد عني دون إرادتي و على غفلة مني .. لم يتمكن مني الحزن فقط .. لكن الذي كان يقشعر بدني من أجله كان هذا البعد ,و لم تصل الأحرف إلى شفتيه بعد و هو كان بلا حول و لا قوة و إلي منّ لا أؤتمن عليه ..

و كلما أذهب إليه، و ألمس وجنة واحدة فقط بعد صراع مع عالم التمريض الوقح .. أشعر بزلزال احتياجه لي في صوته الباكي ..

و خاصة حين سألت طاقم التمريض : ما بال صوته العالي و الحركة المتوترة هذه !!

قالت إحداهن : يشعر بك بقربه !!

فإليك هذه الكلمات المؤلمة .. لعلك تقرأها يا صديقي الصغير

وكأن أحرفي رأت فيك الملاذ
فكنت أول من أعاد الحبر لموطنه

أهديك كلماتي

(و قد منّ الله عليّ هذا الابتلاء لأخبركم إن خروج الروح من الروح ,و إن بُعد الذي لاحيلة له .. لا يُسقط الدمع فقط لكنه يُبكي السماء و الجبال و الأموات) ..

(و بُعد الروح عن الروح لا يبكي الحزن ..لكنه يُبكي الفرح)...

(و كان لا يجافيني النوم حين كنت معي يا صديقي الصغير.. وها أنا ذا أعجل الأيام بالنوم لتعود ..)

***

واعذرني يا صديقي الصغير ..

(أراك تدمع .. تتألم .. تتوجع ، و لا تجد من يداعب خدودك بينما أنا بعيدة دون إرادتي .. و تريد أن يطمئن قلبك ..

لكنني سأخبرك يوما .. كيف كان ربك الحنون نجاك لكي تعود إلى فراشك سالماً !!) .

حين أتم شهراً في غياب الأمان و الأوطان ..

(غداً سيمر عليك شهراً منذ أن أنجبك غصن الزيتون .. و الآن يعم قلبي الخراب، لأني أسمع بكاك الذي يحن لحضن الأم و أنا بلا حول و لا قوة ...)

(أتعلم ماذا :غيابك أجبرني كل يوم بأن أدرك ما معنى (ترك أمراً لله) و (أن أستودعه الذي تملك قلبي فهو الذي لا يضيع ودائعه) ..

أحبك صديقي الصغير ..

***

حين حملته الأقدار إلي أغصانه من جديد

صديقي الصغير ..

(ضحكك الذي يخادع مَلَلي اليومي .. دوماً يخبرني إن عالمك السحري الفضفاض مثل سلاسل العنقود في جمالها في الجنة و ما زلت تطيل في رؤيته لا رؤيانا فاسعد به ... فيكفى تلامس قلبانا و أنك مطمئن)..

(اذا كنت تريد ان تخبرني بعيناك الصغيرتان عن فرحتك كلما أحملك ..فإليك كل كفوفي و ذراعاتي ...فاسكنني ما شئت ..)

(و إني أعلم ما وراء بكاءك .. فليس جوعك فقط هو الذي يعبث بك ... انما صوتك الباكي كمثل حبل الحب .. يبدأ بك و ينتهي بي ..)

(طوال الأربع و عشرون ساعة ما بين الضحك واللعب والنوم و الجوع .. ثمة شئ أحبه جداً ، و أنت غارق في النوم ..

فبينما تتحرك ملامحك، و تُصدر أصواتك الغريبة التي لا افهمها ما ... زالت تدهشني كأني أُنجبك كل يوم)

(ماذا تفعل بي ضحكتك ..حين تجد نفسها في الوقت الذي يلائمني .. كأن بيني و بينها تواصل روحاني .. أو أنت تشعر بي حين يشق الحزن طريقه لقلبي ..)

أحبك جدا

و أخيراً

(و لكي أحضرك لعالمي .. قد استغرق مني عامين اثنين في الداء و الدواء .. و الخوف و الانتظار و اللهفة و الشغف والدمع و الحزن يتلاعبون بي و بأبيك كأننا دمية ..لكنني علمت أن كل شئ لا يأتي كما تريد ..و الغيب ملك لله .. و هو الذي يعلم متى يكون الأوان)

دام قلبي و قلبك متعلقان بخالقنا .. و دمت في حياتي أفضل صديق صغير

***

رســـائل

صديقي ..

حين ألهمني الشهر الكريم بأن يواصل الحبر مسعاه ..

لن أنتظر شيئا بعد ..

صديقي ..

اشتقت لك ..

أرجو أن تكون بخير .. إنما الوقت خلق مسافات بيني وبينك ..

أتعجب الجميع يشكو من الوقت و المسافة في آن واحد .. و دائماً ما أسمع عن واحد منهما فقط يعيق الانسان .. و لم أسمع قط عن إتحادهما معاً لأحاول تحديهم كأننا في ثورة ..

أشعر في الشهور العادية أنني أنتظر شيئاً ما .. و لا بد أن يتحقق لي ما أتمناه ..

وبأن غصة في حلقي لم تغادرني كأن حكاية ما لم تكتمل . وأنسى أن الشيطان هو الذي يُبعث فيني هذا الشعور الناقص حتى أصبحت أظن إنني لست من الحامدين، ومن هؤلاء الذين لا يرضون عن شئ ..

والآن أنا في الشهر الكريم . و أريد لقلبي بأن يغوص في البحر ويُغتسل بملحه و يغرق في زبده ليعود كما مياه البحر في البلاد التي لا يقربها أحد..

قررت التنازل عن الذي يزعج قلبي و عقلي و روحي.. ولأدع كل شئ يأتي كما يريد الله .. وقت البكاء سأبكي، و وقت الفرح سأفرح، و لسوف أعطي كل شئ حقه .. و أكرس ذاتي للقرآن و الدعاء و الاستغفار و التوقع خيراً و الظن الجميل .

لن أنتظر شيئا بعد ..

صديقي ...بينما و أنت على مائدة الرحمن و قبل أن تمس صوابعك الطعام ..تذكرني بالدعاء ...

رمضان كريم

***

خيالات قلبي الفزع

صديقي ..

والآن قد فُزع قلبي بينما ذهب بخياله للحياة في سماء الدنيا ..

حين درى أن الشمس لن تُبعث نجومها بعد المغربية .. و التي دوماً كانت تؤازر القمر كما أذكرها في تشبيهات نصوصي الأدبية ..

كانت من خيالات قلبي و أصبح واقعياً الآن ..

فلما إنجلت أسارير الناس و علقوا الزينات و الأنوار .. والعيون لم تعد تُغلق آناء الليل و أطراف النهار حتى ازدحمت الشوارع، و ظلت هكذا إلى ساعة الغسق كأن لا براح في العين والقلب يسع للنوم .. و لا تُغلق المحلات ولا أبواب شرفات المنازل .. كأن الليل و النهار تساوى معاً في بعث النور ..حتى ظن قلبي إن الشمس غارت من بهجة الناس فلم ترسل صغارها ..

و جل الذي أحمل همه إلى أول ليلة عيد الفطر المبارك بألا تعود النجوم، و تُطفأ الأنوار، و يدق مواعيد النوم ..

و يعثر الملل و الروتين سبيله إلينا ..

رمضان كريم

***

لا نهاية و لا بداية

صديقي ..

اشتقت لك كثيراً .. و اعتذر لك لغيابي..

لكني أعلم أن المحال لا يعرف معنى الوداع ..

وأن الزهور رغم تقلب المناخ تزدهر من جديد ...

سأعود لك مهما طالت ميعاد رسالتي ..

أنا الآن في اليوم السابع عشر من شهر رمضان .. وقلبي يتقلب ما بين أن يعود كما كان قبل قدوم الشهر.. وأن يأخذ القرار الأخير ليصبح قلباً آخراً جميلاً ..

الآن أرى مصاعب تعوق طريقي، وقد أخبروني عن قيود الشياطين.. ولم يخبرني أحد عن تجلي النفوس ..

أدركت في هذا الشهر رغم تراكم الأفكار والأحلام والمسئوليات وتقلب الطقوس والمشاعر.. إني في معركة مع ذاتي ..

فالنفس إمارة بالسوء ..

أشعر كما السباح الذي يريد أن يعبر المحيط و هو خالي من البدايات و النهايات .

هل تعلم كلما أفعل شيئاً، و أعلم إنها ستنهك من صحتي و نفسيتي و قلبي، لطالما كانت نيتي لإرضاء الله ، و كل الذين رضاهم برضا الخالق...

***

أقول لنفسي تبسمي لا داعي للتذمر .. انتظري لأن كل شئ أجمل فيما بعد ..

و في كل الأحوال أنا رابحة .. يكفي أنني كففت عن الشكوى .. أعطي الابتسامة حقها ... عرفت ماذا يعني قلب سعيد ..

***

و الأهم إنني تركت أثراً ..

أما سمعت يوماً عن أحد محبوب لأن كلماته لا تكف عن الإيلام !!

صار لي طفل جميل يريد أماً جميلة .. ألا يستحق حضوره في الكون كل معارك الحياة !!

حقاً ..رمضان كريم

***

جحيم البخل

صديقي

سلام عليك يا عزيزي

ها نحن الآن في الليالي العشر من الشهر الكريم .. كعادتي و بينما كنت أمارس عملي اليومي عثرت على صفحة من المصحف الشريف مقطوعة بالخطأ ..

وتعثرت عيناي على تلك الآية (يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم) .. ثم بحثت على مواقع الانترنت على تفسير تلك الآية

حتى انصهر قلبي معها .. و سرقت كل ما بعقلي حتى جذوره ..

أتا الله يريد لقلبي أن يخشع له .. يريد مني التخلي عن دنيتي ..

عشرة أيام فقط من أجله في انتظاري من بين ثلثمائة خمسة و ستين يوماً يتركهم لي أو له كما أشاء !!

كم أُخزيت ببخلي .!!

إني لأعط لدنيتي التي قد تُفنى بين ليلة و ضحاها أكثر، مما أعطي لديني الذي سيخبر الله

(تلك التي أحبتني بكل كيانها)..

لكنني لم أعد وحدي ..

تكاثرت على المسئوليات .. و هي ليست بالحيز الفارغي ..

***

أخبرتني ابنة خالتي الصغيرة يوماً عن تجديد النوايا في كل صغيرة ..

وأدركت يومًا إن رعايتي بولدي و زوجي و بيتي من العبادات، وإن التخلي عنهم من المكرهات..

مازال الخوف يتقلب في روحي فالانهاك يعبث بجسدي و نفسي المائلة للارتياح تطغى علىّ ..

وأنا مثل كاتب تلميذ يبحث عن الكليمات حين وقعت عيناه على تلك الآية ..و جل الذي أريده أن يسع لي وقتي .. لأناجيه فقط قبل فوات الأوان

رمضان كريم ..

***

الكاذبون

صديقي

يقولون لي الفرح القصير ..!!

كيف لهذا !!

ثلاثون يوم ... أي سبعمائة وعشرين ساعة .. بل ثلاث وأربعين ألف ومائتين دقيقة .. أي إثنين مليون وخمسمائة إثنين وتسعين ألف ثانية .. !!!!

تتحلى بانتظارها لملامحنا بأن تبتسم .. قلوبنا أن تتطهر .. صدورنا أن تنشرح .. شمولنا أن تجتمع .. لله بأن نقترب .. و لا تفترق أنوار السماء عن عينانا ليلاً و نهاراً..

وهاك كرم الفرح يتجلى ليطال كل الذي ذكرته بثلاثة أيام أخرى للعيد المبارك ..

فلا القبور في زيارتها ..ولا ملبس من العهد القديم لترتديه.. ولا النائي يبقى في غربته .. ولا سهر على الأغنيات الحزينة .. ولا مجال متاح للخصام .. وعلى أنوار رمضان بأن تبقى بل نُزيدها بالوانات بألوان قوس القزح لتتناثر في سماء العيد ...

يقولون لي رمضان كريم و عيد مبارك سعيد ..

و إني لأسمعها .. الله كريم .. ربي البديع ..

حتى الشمس أرسلت نجومها بعد الساعة المغربية لمؤازرة القمر ..

فكل عام و أنت كما خلقك الله جميلاً ..

***

وما زلت أحاول أن أصبح أعظم عازف الكلمات و الحروف

***

الأسود

لن يليق بي على الإطلاق

دعني يا صديقي أذكرك عن حكايتي.. لأنني أريد البوح عن مكنوني ..

***

أشعر إني غريبة الأطوار

رحلت جدتي و أنا في الخامسة عشر من عمري ..

..و لم يكن الخبر على مسامعي كالصاعقة .. كان كأنه مثل خبر مُذاع في الشوارع عن شخص ما رحل بعيداً ..

لكنني أتذكر إنني بكيت ..

و لا أدري .. هل هذا حزناً أم تقليداً للذين يكبرونني بسنوات !!

ربما هذا الشعور الغريب .. لصغر عمري ..

.. ذهبت إلى العزاء ...

رغم إصرار أمي بعدم الذهاب..

إرتديت بنطالاً و قميصاً و خماراً .. و لونهم أسود فقط .. ثم شعرت إني أشبه غسق الليل ..

و كم كانت أمي تكره هذا اللون كرهًا شديداً ..

لكنني طفلة ..و كنت سعيدة لأنني أحذو حذوهم ....

جاء موعد الرحيل .. و ثمة دقات تدق قلبي بشدة .. و تخبره بألا يذهب ...

أصابني العناد .. كنت حقاً أحب أن أجرب كل شئ ..

و حينما وصلت لحارتنا ...

صارت خطواتي تتباطئ... شيئا ما يجذبني إلى الوراء .. يخبرني إني صغيرة على هذه الأجواء : أنتِ لم تحزني على جدتك فلماذا ستذهبين !! ..

لم أستمع ..

حتى وصلت إلى السلم !!

تسائلت : ما الذي سأفعله هل سأبكي أم سأضحك !!

أنا حقا أحب جدتي .. إذن لا بد أن أبكي !! ..

لا .. لا أعرف كيف التصنع ! ..

على الأقل .. لتكن ملامحك جادة بعض الشئ ..

حتى أصبحت أمام الباب .. . انتفض قلبي .. شعرت بلحظة اصطدام القطار بالسيارات .. أردت أن أعود .. لم يعد هذا الوقت المناسب .. أصبحتٍ

أمام جموع من النساء يتشحن بالسواد حتى إنني عثرت على أمي بصعوبة بالغة ... و نحيب يهز الأركان كأن الدمع مُوجب عليهم .. و عيون أصابها التورم و الإحمرار تحدق إليّ لتخبرني: لماذا أتيت !! ..

أنا لم أعتد هذا السواد في حياتي ..

هل يمكن أن يظهر الليل وسط النهار عنداً ..

أردت العودة ..

لكن فات الأوان ..

أخبركم إنه لم يكن بيت جدتي ..

هذا البيت الذي نجتمع فيه أيام الخميس .. أبيت مع إخوتي الصغار بعد شجار مع أمي.. كنت أنتظر فيه نتيجة امتحاناتي ... حين أغضب مع أبي و أمي كنت أذهب هناك .. أشكو جدتي و جدي كل شئ... يأتي الضيوف كثيرا حتى كنت أشعر بالملل منهم ..

هناك !! ... عثر قلبي على الطمأنينة ..

و لو كنت في العشرينات لإنهار عالمي ..

فحين عثرت على أمي بعد دقائق من البحث عنها.. إرتميت في حضنها ..و ظللت أبكي .. و بكى معي الجميع ..

و لا أدري هل شفقة علىّ أم يقلدونني أم ذكرتهم بجدتي !!!

لكنني أُجبرت على الذهاب من العزاء ..

و منذها قلبي يكره الأسود ...

***

حكاية الرجل الأخضر

إلى صديقي العزيز ..

أنظر إلى عالمنا من الطابق الخامس و التسعين في بييتي .. لست أرى إلا زرقة السماء و السحاب ..

الراكب الذي يحاول أن يأمل حياة من شباك الطائرة ..

يوماً ..

كنت أقرأ رواية من شرفتي بينما أرتشف فنجان قهوتي ..

رأيت يداً ضخمة تعبر السحاب .. حتى ظننتها طائرة صنعت للمرح كما الأشياء الغير المألوفة ..

سرقت عيناي و دهشتي ..

فجعلتني أحضر منظاراً لأرى كل شئ عن قرب .. رأيت رجلاً أخضراً ضخماً طوله أقرب من الدور السبعين .. طول ذراعيه تلمس السحاب .. حاجبيه تضم بعضها ببعض و يفيض بهما

غضب البلاد .. حمرة عيناه ما بين دمعاً غزيراً و حزناً عميقاً .. شفتاه تحتويها ابتسامة تتردد في الظهور علناً ..

صديقي ..

و .رغم تعجبي بهذا الرجل الضخم ..لكنك تعلم إن كل شئ لم يعد مستحيلاً ..

نزلت مسرعًا من بيتي إلى الطابق الستين لأصبح عن قرب منه.

فرأيتها تحكي وجعاً غير مسبوقاً في صمت ..

***

صار يترنح في الشوارع سكيراً ... و يسير حتى صار على وشك أن يصبح بعيداً عني فقررت أن أصبح ظله و كنت بالنسبة له سراباً ..

فجريت بسرعة إلى الطابق الأرضي حتى عبرت البوابة .. فلم يبعد عني إلا بضعة أمتار .. فكنت قريبة منه ..

تتبعته يا صديقي ..

كان يسكن في الأحياء الفقيرة جداً ..

تخيل ..

إني رأيته يداوي عجوزاً مريضاً .. و طفلاً أصابه جرح في قدميه .. و شاباً أدركته حمى..

أتعلم إنه طبيباً ..

***

وحين وصل إلى مسكنه .. وكنت أريد أن أدق بابه فسمعت أنيناً ..وصوته رغم قوته كطفل يشكو لأماه ..

يقول :

لمادا أنا!!

ماذا فعلت لأصبح أخضراً !!

ما الذي أصاب الانسان من الطمع لأكون فأر تجاربهم !! ..

يخافني أهل المدينة الكبيرة .. و لم يخافني الجيران في حيي الفقير .. !!

أصبحت بعيداً عن الجميع و وحيداً ..لماذا يطاردونني !!

لماذا أنا !!

و كنت أنقذ بعض الناس من القتلة و اللصوص حتى قالوا عني وحشاً يجوب الأنحاء.. فانهالت علىّ الرصاص من كل مكان ..

حتى اختبأت في حيي ..غدوت رجل طبيب لا حياة لي ...

وها أنا ذا أحب إمرأة .. فإبتعدت عنها رغم حبها !! .. إبتعدت عن أحبتي جميعاً ..

وصار يبكي في وحدته بحرقة..

صديقي ..

آلمني بكاؤه..

أردت أن أدق بابه و مؤازرته .. لكني تركته ..!!

أتعلم لماذا!!

لأن عاصفة مزقت أوراق روايتي و بعثرتها في السماء ..

فتباً لهذا الطابق..

***

حكاية القلم ...

لا أتعجب القلم حين يمشي علي كراستي وهو لا يدري ماذا يفعل، ولا يعلم أين النهايات والبدايات وأواسط الحكايات !! ..

ولطالما اعتاد أن يتمايل بلا يأس بينما تمتلئ الدنيا بالخطاوي .... ولم تطوى الأرض والسماء بعد ...

لأنه وقع في حب الكلمة و الكليمة...

ما قبل هذا التمايل ...

يُحكى إنه مثل الحمام الزاجل الكسول لا يبحث عن الأماكن البعيدة، و يكتفي بالبلاد القريبة، و يعلل كثيراً و لو وجد رياحاً خفيفة فلا يسافر ...

يظل في جحره لأيام .. حتى يصير مجبراً على الطيران ليبحث عن طعاماً لصغاره ...

كذلك كان لا يُوجد القلم الا لأنانيته .. فيحكي عن الحدث وقت وقوعه كأنما يكتب لحظة من العمر، كأنه كف يطيب خاطر صاحبه ...

ثم تسود الصمت مرة ثانية بينما الحياة ملايين الساعات بآلاف الحوايت ..

و لا بد أن تكتب في الكراسة في حينها ...

***

تمر السنوات ..

وحين يعود القلم لكلماته تصبح مثل ورق شجر تساقط في فصول الخريف للبلاد الحارة حتى احترقت الورق ... وصارت نسياً منسياً...

وقد نسى إن الحكاية ستُفنى ومشاعر القلب ستصير ذكرى ...

والكلمات ستصبح لا تذُكر بالعقل المجرد..

ساعة التمايل ...

مثلما حمام زاجل جاع صغاره بسبب الكسل .. فطار لبلاد بعيدة بلا انقطاع كل يوم ليجمع البذور ..

ينقب الحبر عن الماضي .. و حين وجد أن الحكايات تتلاشى شيئا فشيئا، صار يدونه في دفتر الذكريات ...

فأخذ يحصد الأحرف من أرض العقل مثلما الفلاح لا يحصد الثمار كافة لتداخل المواسم فينهك الفلاح كل قواه ليعثر على ثمار بتدب في الأرض روح ..... حتى لم تعد تكفى الكراسات ..

ما بعد التمايل ..

كأنما حمام اطمأن علي صغاره حين رآهم يشاكسون بعض، ويثبون في محاولة للطيران ... وفي النهاية لمسوا زرقة السماء وصوت زقزوقتهم تطرب الأذان.

كذا القلم وجد موطنه، وغدت الكلمات تأتي له كوابل من المطر في كل الدقائق، وأنبتت ورودا في كراسته من حكايات ماضي و حاضر و غد

حتى امتلأت الكراسة بألف ليلة و ليلة ...

***

رسالة عتاب للألم ..

عزيزي الألم ..

تحية طيبة و بعد ..

أرجو أن تكون بخير .. لكني أعلم إنك بخير دائما و أبدا .. فلن يؤذيك شئ طالما تجد المتعة في أذى الانسان .. و أعلم إنك علينا بسلطان ...

لا أحد يقول لك مرحبا ... و كل إنسان يغلق بابه في وجهك... لا أحد ينتظرك و لا أحد يتوقع قدومك .. ثم تقتحم أنت حياتنا عنوة و على غفلة مننا..

و لا تدري ما أنت بفاعل بالجميع !!

تصيبنا بالقعود .. العجز .. الوحدة .. الوجع .. الحزن ... الصمت ..

هل سمعت يوما .. (يا بخت من زار و خفف) .. !!

لا .. لا أظنك سمعت ...

وأنت تطيل البقاء لسنوات أو قد تبقى حتى المنية !! .. فماذا عن الدقائق أو ساعات أو أيام !! ..

أنت لست ضيف مُرحب به .. لا أحد يحتملك ...

ألم تمل بعد من جسد واحد ..فالعالم يتغير وناس تلد وناس تموت .. فلماذا تبقى !

ولماذا تُوجد بيننا !!

الأجساد ليست دمية والانسان ليس بأداة والآه ليست بموسيقى ..

نحن لسنا بمشهد جميل ...

عزيزي الألم ..

أنت تنهك قوانا و لا يبقي ما بيدنا حيلة .. و نلجأ للشكوى .. ثم نجد إن الصوت ما عاد ينفع معنا ... فنلجأ للصمت... وفي وحدتنا نبكي .. و نُبكي من حولنا ..

ثم نصبح مشهد درامي حزين .. و أنت مجرد متفرج ..

أرجو أن تصلك كلماتي .. و يصلك شعوري و دمعتي وصوت أوجاعي .. فأنا سأقول لك مرحبا لو بقيت قليلا ..

و لو بقيت كثيرا لن أبغضك لكني سأكتفي بقول (لا حول ولا قوة إلا بالله) ..

سلام عليك أيها الألم يا منهك القوى ...

سأفتقد الاب البعيد ..

إلى والد زوجي

أيها الأب بعيد ..

لم اكن قد تحاورت معك كثيرا .. ولم ألتق بك إلا قليلاً ..

سلمت انت علي ولديك وابنتك وقبلت رأسيهما ..وانا تلك الغريبة التي دخلت بيتك ثم لم يلحقها السلام ..فغادرت أنت مثل جدتي سريعاً..

أنت قد أوصيت الحبيب و الغريب .. و وأرسلت سلامك للجميع .. وتلي عليك الصلوات جميع أحبتك .. لكنني علمت في آخر الساعات ..

أنا الغريب .. الذي دخل بيتك كحديث العهد فلا يحق عليه الشوق ولا الحزن و لا البكاء ..

وحينما رأيتك في كفن، أوصيت أحد من أقربائك بالسلام عليك لكن لم يسع لي الوقت .. فاكتفيت بالدعاء بداخلي ..

تترك باب البيت محمولاً علي أكتاف محبيك .. لم تتمالك عيناي فخذلتني دمعتي ..

فاستغربني الجميع !!

فمن انا !!

تمر الشهور على الرحيل، و لا بد لي بألا ابوح عنك حتي لا أثير الاتراح ..

بلي ..

وأخاف أن ينظر إلىّ الجميع في ريبة .. فيقولوا عني أحاول جذب الود ,و أعبث بالنفاق .. فمتي يحق علي الاشتياق!!

***

ليتك تعلم كم وددت لو كثرت زياراتي لك .. لو كنت إبنتك أو من ذوي بيتك .. فيحق علي البوح عن مكنون صدري!!

فسلآم عليك.. قد ارتقي شعوري الصامت بالاشتياق لغيابك

سلآم عليك يا من تركت دنيانا بباب مواربٍ ..

تركتها جسداً، و أبقيت روحك فيها، فأهتدت بعض النفوس بحكمتك و ذكرآك ... و حيهم لك ..

***

عبّارة السلام ٩٨

صديقي .. سأحكي لك حكاية ما

.. كانت تنظر الي شباك ماضيها حين ذهب الجميع إلى النوم بعد منتصف الليل ..

تتعجب أحوالها ..

فهي التي أهديت كعكة الحب لتُذكر والديها بعيد زواجهما العشرين..

تحب أن تراه يتلألأ في عيني حبيبين تخاصما فتسعى ليعود الود كما كان ...

تحب أن تسمع حكايات الغرام في عالمنا الواقعي ذات النهايات السعيدة مثل أفلام العندليب وأم كلثوم ...

هي التي آمنت بأن الذي يحدث في الافلام يمكن أن يحاكيه واقعنا اذا أحبا و تفاءلا للأبد ..

كانت تخبرني إن تلك الآية (أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي كما يشاء) لا تفارق أذنها ..

و وقعت في الغرام

و ها هي ذي لم تعد تستطيع ان تشاهد تلك الافلام فما عاد قلبها يتحمل غراما زائفا ..

طالبت بحبه مرارا و تكرارا عسى أن ينتبئ لكنها تنسى أن الجدران لا تتكلم لكنها تحمي الوفي إليها .. يقول إنه أحبها فاهداها وردة .. خاتما .. ضحكات .. أيام جميلة ..

و لم يهديها كلمة أحبك ساعة وجعها حين تكاثرت عليها الهموم ..

أخبرها ان تتحمل ضيقه فتحملت أشهرا حتى فُنى قلبها فأحلام نجاحها ترفرف بها لكنها وحدها ...

***

لماذا تتحمل روحي كل هذا البرود و الجفا .. !!

لماذا لا تتحرر مشاعري و تخبرني كل شئ في وضوح كالشمس كعصفور يتطفل على الشرفات و يسرق وريقات على الأصيص !!

و لماذا لساني السجين خاف الخروج كأنه في ملاذه !!

لماذا لا يصبح قلبي مثل قطرة المطر التي تتجرأ على الاصطدام بالأرض في المواسم للصيفية فيتوقف عن الحب !!

و كنت أخبر نفسي :

كيف تحملت كل هذا الوجع و أنا الفتاة التي لم تتخل عن إيمانها بالحب يوما

لكنني نسيت .. أن البحر ابتلع عبارة السلام منذ سنوات وكانت السفينة التي تتنفس أنفاسها الأخيرة تأمل أن تصل إلى بر الامان بينما كانت وحيدة بين ظلمة البحر و الليل !!

***

في مهب الحب

ماذا يحدث لي !!

ترى عيناي ما لا يراه عيون أحد.. قلبي يعجبه كل شئ في بساطة ..لم أعد أحب النوم كأنني أدمنت القهوة ...

أرى الصورة المعلقة على الحائط (إثنان أصابهما الشيب... وارتميا في حضن بعضهما) ...

يُحكى لي حكاية أخرى عن (آمال رجل لا يريد أن يفارق عمره إلا في حضن حبيبته)..

و قيل لإمرأة التي أحبت من طرف واحد .. أمازلت تحبينه فقالت حتى الرمق الأخير .....

و لا أعلم لماذا يدلل الجميع كلمة أحبك و هي ذات أربعة أحرف فقط ..ثم يقولونها بالإنجليزية لتصبح ذات ثمانية أحرف ..!! ..

يقولون الحب للشجعان !!

و إني لأرى الشجاع لا يدافع إلا عن حبيبه دوناً عن الأخرين ..

ورأيت الجميع يسخرون مني لإعتقادي بالغرام في الأفلام .. يمكن أن يحكايه واقعنا ...

أخرون يخبروني الحب للأغبياء .. فهل سكن الجمال في نفوس حاقدة !!

وبعض شباب عهدي يستمعون إلى الأطلال و قارئة الفنجان. و يقرأون للرافعي ثم يتركون أحبائهم و كأن الغرام لعبة ما ..

لماذا تُوجد يا غرام ملاذك في الزمان القديم !!

لماذا في حكاياتهم بعض من نبرات الحزن و لست أرى إلا الفرح في معانيه الحقيقية !! .

لماذا تكثر حكايات الفراق ..ولا أحد يخبرني ان الصور المعلقة لا تحكي الا حياة أبدية و ذكرى لن تفارقنا يوماً !!

هل انا في وهم الحب !! .. أم يحاول قلبي أن يرى الزينة في كل الشهور لا شهر رمضان أو أعياد ..

ثم توقظني أمي ..

لتخبرني إن حبيبك ينتظرك على الباب و يحمل على عاتقيه حبك وقلبه ..

ويرسل لك هذه الأحرف (أ ح ب ك) ...

يقولون في مهب الريح .. وأنا أقول في مهب الحب لأنني ابتسمت

***

قلبي يمشي على السور

ترفرف جناح قوتي فوق رأسي ..

كنت تلك التي تقول كل شئ يسيراً طالما قلبي يريده..

يأتي لي اليقين فيما أحلم به .. ثم يتمثل في صورة أمي و أبي والذين لا أفارقهم ما حييت ..

وبيني و بين وجع الجسد مثل بحر في اتساعه .. و نحلم بأن نرى نهايته ...

لكن المطر يتساقط في فصول الصيف على غفلة من الجميع ..

البرواز يتحطم حين يقع الزلزال ..

..ومثل محاولة العثور علي أحبتي حين يهب علينا التسونامي ..

و لمّا تُرفع الصحف فلا مكان لإعادة الإيمان ..

***

أصابني الألم ما بين نزع حلمي من بين بقايا البيوت المحطمة ..

وجع جسدي الذي بقى معي أشهراً ..

وقتي الذي تاه في زحمة شوارع خالد بن الوليد في إسكندرية صيفاً ...

وهمّي الذي بنى لنفسه قصراً في روحي و قلبي معاً ..

وحيرتي أيهما أهم ..

أحلامي أم صحتي أم جسدي ..

ولا استطيع أن أعثر علي التوازن بحياتي ..

وما بين قلبي وعقلي.. كصراع بين البلاد علي من سيبدأ الحرب ..

***

يالله .. كيف تحملت كل هذا !!

يتقلب في قلبي هذا الصراع المرير لكي أحيا ..

و هذا الخوف من التحدي حينما أخبر نفسي (لا شئ يهمني) ..

و القلق من أن تضيع ابتسامتي في تقلبات الحياة ..

و يرن في آذاني ..

قول الله

(أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي كما يشاء ..)

ودوماً تخبرني أمي

إن أردتِ دخول الجنة فلسوف تعبرين الصراط . ولو أصابك حدته..

***

جارات الكون

صديقي .. سأحكي لك مشهد من الحياة بعث فيني شعوراً بالغيظ :

في اليوم الواحد من كل شهر تأتي لي متسولة تدق جرس الباب, لتأخذ ما لا تستحقه ..

معها فتاتان ..

إحداهما في العاشرة من عمرها, و تمتلك عيون لامعة كالقمر, و الأخرى في الرابعة من عمرها , و كأنها نجمة صغيرة ولدت لتهادي القاسية قلوبهم ..

و هذه الأم المتسولة تحت العباءة السمراء، و بقع من عوادم السيارات تداعب وجهها حتى خَفَت أي عمر تسكنه ..

كنت أعطيها بعض الحلوى و المال كعادتي..

و أتأمل فتياتها و صفاء البحر الذي لا بد عليه أن يكون في داخلهما ..

و بعدة عدة أشهرا ..

وجدتها تمشي بخطوات بطيئة و تتعثر على البلاط كما لو إمتلأ بالصخور، و يبدو عليها بعض الارهاق ... ثم انتفاخ بطنها ..

كانت حبلى ..!!

كيف هذا!!

لم أتمالك ذاتي حتى استوقفتها لأسألها في دهشة : لماذا هذا! .. هل حقاَ أنتِ حبلى !!

- يريدون ولداً

***

حتى أخفيت تعجبي و استغرابي لغباء البشر ..

غادرت و في قلبها نوع من القبول كأنها اعتادت هذا ..

ثم بيني بين نفسي في سكوت :

ألم يكتف زوجها و أسرته بإبنتان جيران الكون !!

و ينسون قول الرسول عليه الصلاة و السلام ..

(البنات هن المؤنسات الغاليات ..)

ياللشفقة .. !!!

لا أحد يحب أن يرى الجمال في معناه الحقيقي ..

ثمة يأس و قنوط يحكم البشر .. لكن من القبح لهم بأن يتوسلوا للحماقة لتصبح دليلهم ..

فعادت بعد بضعة اشهر بسيطة، و بين ذراعيها مولوداً صغيراً (ولداً)

لا لتخبرنا عن فرحتها، أو أرى وجهها الحقيقي خالي من عوادم السيارات

.. بل لتتسول من جديد !!!! ..

كأن الأمل لا يستند إلى أي منطق فعلياً .. كأنه نوع فاحش من الإهانة ..

***

إلى الناس النيام

ولا يحملون في قلبهم هماً

والآن عند منتصف الليل ..

يُحكى أن ثمة حبيب ينتظر أن ترد حبيبته (بنعم أو لا) حينما طالب الزواج بها... و ظل ينتظر بالساعات في قلق و خوف لحين بزوغ الشمس ...فلم تتمكن عيناه من النوم بعد ..

يأتي الصباح ...

ترد عليه حبيبته ..

وكيف قد لا نشهد الفجر و منتصف الليل لباقي العمر !!

فأصابه الدوار في رأسه من فرحته، و نسى النوم و انهاك الجسد الذي حل عليه من ذهابه...

فأرسل لها رسالة نصية يقسم فيها بأنه سيحبها في السراء و الضراء و في الصحة و المرض و في الفرح و الوجع

الآن ...

إنه ينتظر مقابلة الوالدان، و يتقلب في قلبه ذاك الخوف الشديد، فظل ساجداً آناء الليل راجيا الله، بأن تصبح زوجته ..

يمر منتصف ليل وراء منتصف ليل اخر .. كان ينام ساعة، و يستيقظ ليذهب إلى شرفته ليرى هل أتى الصبح !! .. كأن الساعة الثانية عشر تطرح النوم وقت الفرح ..

***

وأتى ميعاد اللقاء ..

و قلبه في رهبة و خوف من هذا اللقاء

ثم استطرد يقول، و يديه علي المصحف :

أقسم اني أريدها أن تعيش معي كما عاشت معك كإبنة سعيدة في بيت أبيها .. و سأسعى معها لتصبح كفة ميزان حسناتها أثقل من حسناتي ...

ليطمئن قلبك و قلبي يا والدي العزيز ..

و اذا لم تكن من نصيبي يوماً .. فأنا لن أخون وعدي الذي قطعته بيني و بين ذاتي حتى توافيني المنية

فهي ستغدو زوجتي في العالم الآخر ..

تمر عشرة أيام .. و عشرة منتصف ليل آخر ...

و لا يبحث النوم إلا على العشاق ليغدو عدوهم كأنه يعرف إن الغرام يُقلق العيون .. و يعثر سبيله إلي والديها و والديه الغرباء حيث لا يوجد في قلبهم ان هناك احد ينتظر كلمة من حرفين او ثلاثة احرف (نعم أو لا)

و يأتي أول نهار و بعد أن أصابت عيناه الوهن ...

قد أجرى والدها أول مكالمة تليفونية

يقول :

نأسف لك .. فكل شئ قسمة و نصيب ..

كأن القلوب حجر ..

***

صندوق أسود

هلّ على الصباح ..

و كانت أمي تفتح باب شرفتي .. حتى وبخت فيها..

يزعجني صوت العصافير .. زرقة السماء .. بياض الغيوم .. بردة الهواء في فصل الربيع .. ذهاب و إياب الناس في حينا .. أصوات السيارات التي لا تنتهي .. بكاء طفل ساعة قدوم الأتوبيس ..

أشعر بغيظ كلما يتسلل النور ما بين فتحات الشباك التي تسمح بدخول الهواء..

.. حتى إني وضعت بعض الأوراق في تلك الثغرات لكنه يعبث بي ..

هل أنا مريض !!

لماذا أتألم هكذا حين يأتي ميعاد قدوم الشمس!!

أجبر عيناي بألا تنام .. أتلذذ بالليل و ظلمته ..

أشكو لدميتي بدلاً من أمي التي تسمع صوت شكواي في صمت كل الذي بكاني و الذي لا يشعر بي ..

أخبرها إن كل شئ صار قبيحاً و مظلماً في عيناي ..

لماذا لا أنتظر اليوم الجديد بشغف مثل الآخرون ..!!

***

هذا الذي يذهب إلى العمل مبتسماً ..

أحاول لمس العصفور في فرحة ..

.. طفلاً يحضن أمه لأنه يفتقدها .. أسمع صوت الأغاني من السيارات .. ربت أمي عليّ ليطمئن قلبها .. !!

لماذا قلبي يرى كل شئ معكوساً !!!

..

و حين دقت الساعة الفجرية ..

تذكرت أن هناك بيت لم يكتمل بنائه بعد .. و ضع هؤلاء العمال خشباً فقط لحين يصبح قصراً ..

تسلقته ..

و كل شئ حولي كأنني في صندوق أسود ..

***

وفي ساعة الشروق ..

انطلقت في الأجواء صوت الديوك .. و بزوغ الشمس التي تصيبني بالجنون .. ثم أعجبتني تلك الثغرات بين الخشب .. و المسافات بين الأرض و السطوح ..

فما لبثت ثواني و رأيت الجمال يعبث بعيناي ..

لكن أثارني الموت كفتاة جميلة ..

فوداعاً للجميع..

***

وهم الحرب و الحب

يقول لها : انتظريني

قالت له : هذه البلاد تشع حرباً .. كأنه رمز السلام ... أو صوت المدافع سيمفونية يرقص عليها الآلام و الدماء ..

مثل قيامة قامت، و الناس في رحب لها ..

لم يعد هناك أطفالاً .. جميعهم صاروا تحت الرماد ... و كل أنثى إما مجندة .. شهيدة أو تبكي علي فراق ولدها و زوجها او أبيها او أمها..

فكيف أنتظر !!

وأنا قلبي سيتقلب في خوف لوقت لا يعلمه الا الله ما بين أن تعود ... أو ستذهب بلا رجعة .. و قد تكون حي أو مفقود وسط الخراب ..

وهل السراب يُرى !!

هل يمكن أن أروي أبنائي الماء بينما جف النيل !!

قال : لكني سأخوض حربا و ربما أكون حياً .. ألا تتفائلي !!

قالت : ما الذي سأفعله اذ غادرت بلا عودة

ماذا تريدين يا حبيبتي !

أريدك أن تشهد معي حين نعقد القرآن ..وحين أرتدي الفستان الأبيض .. لحظات الحزن و الألم والفرح والحب .. صرخة ابنتنا الأولى .. و حين تمشي لأول مرة .. و حين تذهب إلى المدرسة ثم الجامعة و تشهد معي عرسها ..

أريدك أن ترآني عجوزا، و تحملني فوق أكتافك الي التراب لحظة فراقي .

... اريدك معي ... ألا أستحق هذا !!

غطى الصمت لسانه و يسأل نفسه في حيرة :

و الحرب و الشهادة و أمل البلاد في السلام و الجنة !!

قالت :

هل تستحق الحرب أن تأخذك من تلك الحياة !!

الحروب ستبقي . لكن لا أحد فينا باقٍ ..

سيتذكر الناس إسمك اليوم و غداً لن يذكرك أحد ...

قال : ستتزوجين غيري و ستكونين سعيدة ..

قالت : سأتزوج غيرك يوماً ما ..و ربما لن أسعد ..و سأظل أحبك لكن لن أسامحك ما حييت ..

***

في محبة اللغة العربية

لسنوات كنت أنت القرار الأخير .. العبء الأول .. تبعدين عن قلبي مثل المسافات بين النجوم..

في صغري كنت كالصورة المعلقة المتعفنة بالتراب على الحائط عسى أحد أن يتأملك ..

كنت مثل أغنية أم كلثوم لعلّ أحد من شبابنا يحفظك ..

إمرأة بداخلها جمال الكون المخفي و لا ينتبه إليها سوى ذوي الذوق الراقي..

وبلغت العشرينات ...

تعثرت بك يا من تركت كل العابرين بك .. كأنك وُلدتي لتعثرين عليّ ..

بدايتي

انطلق قلمي يرسم قصيدة باللغة العامية الخرقاء .. وشعرت بغصة في حلقي ..و كأن هناك حكاية لم تكتمل بعد ..

صوتك على لساني كرجل عجوز أصابه اليأس فلا يتعجل الشفاء رغم الدواء ..

يجد الدلال سبيله إليك فتصبحين في عيناي كفنان زائف ...

***

تركتك لما يقرب سنتين إلى ثلاث سنوات .

ثم ألقيت على قلبي و عقلي سحراً .. أوقعتني في غيبوبة لأعواماً فما أوقظني إلا محبتك ..

كنت كطفل صغير يتعلم كيف ينطق حرف الألف بتشكيل الفتحة و الكسرة و الضمة .. كتبت قصيدة ..

وحروف احتلت صفحة كراستي فكتبت نثراً من عشرة أسطرا ..

وصوت حرف الچيم في صورته الحقيقية على لساني كفتاة عارية ..

مولودي الصغير الذي سيصبح يوماً شاباً وسيماً مثل القرآن من حبي لك ...

ماذا بيني و بينك يا لغة الضاد !

أحببتك ..

و كنت بعيدة جداً عن قلبي و عقلي !! ..

كنت بمثابة تحدي لم و لن يأتٍ على بال أحد ..!!

و ها أنا ذا .. صار كل الذي بيني و بينك أن أملأ آخر صفحة في كراستي .. كأن السلام عثر على ملاذه بيني و بينك ..

و أنت لغة الضاد في عين الجميع لمشقتك . لكنك في روحي حبيبتي ثم حبيبتي ثم حبيبتي

أنا حقاً رجل لامع

ماذا يحدث لي !!

إني أشاهد هذا التلفاز، و هو في حالة عطل

هذه المروحة التي تدور بلا داعي رغم حلول الخريف ,و لا أحد جالس في الصالة سواي ...

والزينة التي تنير السقف ، لا يلتفت إليها أحد إلاي و ولدي ..

وذاك الفانوس الصغير الحجم و الذي يحمل صورتي مضاءاً رغم الساعة الظهرية ..

والكمبيوتر الذي لابد أن تُنار شاشته كل يوم بلا داعي ..

وكتاب محمود درويش الذي تركت الغبار يعثر على مرساه عليه.

وكلما أنظر إلى مرآتي لا أرى إلا رجل لامع..

حتى أخبرني الجميع : كم إني مجنون !!ِ

ما الجنون يا أيها البشر !! ..

أحب البقع على الكنبة كما هي .. وصورة اللعبة ملقاة على الأرض حتى تنكسر ..

وأنسى المنديل المتسخ عمداً حتى يحين ميعاد إزالته ..

ولا يهدأ قلبي إلا بسماع ضوضاء فأترك المروحة تدور ..

.. و أما الزينة لأخبر ولدي الصغير إن والدته كانت تعلقها كل عيد فنتذكرها سوياً ..

و ذاك الفانوس مضاءاً لأنه يذكرني بها فهي من أهدتني إياه في أول شهر رمضان و نحن معاً ..

لا أترك شاشة الكمبيوتر مفتوحة فقط ,إلا لأن بين الحين و الآخر أنظر إلى صورة زوجتي الراحلة ..

وأما كتاب محمود درويش و الذي أهملته لأني غضبت منه، حين قال في قصيدته (لاعب النرد)

ولدت إلى جانب البئر

والشجرات الثلاث الوحيدات كالراهبات

ولدت بلا زفة

وبلا قابلة

وسميت بإسمي مصادفة

و انتميت إلى عائلة مصادفة

شعرت كأنه يخبرني إنه بلا شئ .. و هو كان منتصرًا رغم رحيله عن أحبابه و وطنه حتى لمع إسمه الي اليوم

.فمن لا يتذكره أحد بعد !!

وها أنا ذا لست وحدي .. فروح حبيبتي الراحلة تحدثني مراراً في منامي .. و ولدي الصغير الذي ما زال يخبر الجميع إن أبي هو أبي و أمي .. و هذا البيت المتكركب يخبر كل ضيف قادم إليّ أنا و ولدي.

إن ثلاثتنا أحياء ..

أنا حقاً رجل لامع ..

***

و لطالما حب لغة الضاد تمكن مني .. فالبيانو ما زال باق إلى المنية